خلافة أبي بكر

رضي الله عنه

لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم نص صريح في خلافة أحد بعينه وانما استدل على تعيين أبي بكر للخلافة بأمر النبي له بالصلاة بالمسلمين في مرض الموت وقد اختاره الصحابة لذلك ولما يعرفونه من تفضيل النبي له وحسن بلائه في الاسلام وسابقته

وكان من خبر اسناد الخلافة له ما نقله المؤرخون انه لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتجت المدينة واضطرب المسلمون اضراباً عظيما . ولما ثابوا الى رشدهم قليلا فزعوا الى اقامة خليفة يقيم لهم دينهم ويرعاهم ، فاجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، وتذاكروا في الامر فوقع النزاع بين المهاجرين والانصار: قال الانصار منا أمير ومنكم أمير ، وأراد عمر أن يخطب في ذلك فسبق أبو بكر فتشهد وأنصت له الناس فقال :

نحن المهاجرون أول الناس اسلاماً وأكرمهم احساباً وأوسطهم داراً وأحسنهم وجوهاً وأمسهم برسول الله (ص) وحما وأنتم اخواننا في الاسلام وشركاؤنا في الدين نصرتم وواسيتم فجزاكم الله خيراً فنحن الامراء وأنتم الوزراء لا تدين العرب الا لهذا الحي من قريش فلا تنفسوا على اخوانكم المهاجرين ما فضلهم الله به فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الائمة من قريش» وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين يعني عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح . فقال عمر: لا يكون هذا وانت حي ما كان أحد ليؤخرك عن مقامك الذي أقامك فيه رسول الله (ص) ثم ضرب على يده فبايعه وبايعه الناس وتمت خلافته

وقد بان فضل أبي بكر ورجحان عقله وشجاعته وتفوقه في ذلك على سائر الصحاب عقب وفاة النبي (ص) فان الصحابة دهشوا لوفاة النبي وذهلوا حتى

لقد ظن بعضهم ان النبي (ص) لم يمت. ومنهم عمر فقد قال: والله ما مات رسول الله (ص) وليبعثنّه الله فليقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر فكشف عن وجه رسول الله (ص) وقال: بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتا. ثم خرج فقال: أيها الحالف على رِسلك فجلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه فقال: الا من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت. وتلا «انك ميت وانهم ميتون. وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين»

وقد ارتدّت العرب لما مات النبي (ص) ومنهم من بقي الا أنه منع الزكاة فازمع أبو بكر قتالهم جميعاً، وأشار عليه بعض الصحابة بالكف عن قتال مانعي الزكاة فقال: والله لو منعوني عقالا واحداً لجاهدتهم عليه. فقال له عمر: يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم. فقال له أبو بكر: اجبّار في الجاهلية وخوّار في الاسلام؟ ثم قاتلهم والمرتدين حتى دانوا وانقادوا. وكان أبو هريرة يقول: والله لولا أن أبا بكر استخلف ما عُبد الله. فقيل له: مه! فقال: ان رسول الله (ص) وجه اسامة بن زيد في سبعمائة الى الشام فلما نزل باحدى المنازل وقبض النبي (ص) وارتدت العرب حول المدينة فاجتمع عليه أصحاب النبي (ص) فقالوا يا أبا بكر رد جيش اسامة كيف يتوجه الى الروم وقد ارتدت العرب وفي جيش اسامة جماعة العرب وأبطال الناس فلو حبسته عندك لتقويت به على من ارتد من هؤلاء العرب. فقال أبو بكر: والله لو علمت أن السباع تجر برجلي ان لم أرده ما رددته عن وجه وجهه رسول الله (ص) اليه، ولا حللت لواء عقده. وأمر أسامة أن يمضي فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد الا قالوا لو لا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ولكنا ندعهم حتى يلقوا الروم. فلقوا الروم فهزموهم

وقتلوهم ورجعوا سالمين فثبت الناس على الطاعة رهبة . وقد تبين بذلك صواب رأى أبي بكر وبعد نظره وحزمه وقد بلغ من تواضع أبي بكر أن شيع أسامة ماشيا وأسامة راكب فقال اسامة : إما أن تركب وأمشي أو أن أنزل ونمشي فأبى عليه أن ينزل وقال : ما عليّ أن أغبّر قدمي في سبيل الله . وكان عمر في جيش أسامة فقال أبو بكر لاسامة : ان رأيت أن تعينني بعمر فافعل . فأذن أسامة لعمر بالمقام

وقد أرسل أبو بكر خالد بن الوليد في جيش الى قتال مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة ودار بينهما قتال شديد انتهى بقتل مسيلمة وانتصار خالد

وبعد أن استتب الامر في الجزيرة وجه أبو بكر خالداً الى العراق ففتح الحيرة وما والاها واوقع الرعب في الفرس . وجهز أبو بكر جيشاً وأمر عليه أبا عبيدة وكان من أمراء هذا الجيش وقواده مع أبي عبيدة عمرو بن العاص ويزيد ابن أبي سفيان فدخل الجيش بلاد الشام وانتقص أطرافها ثم تألب عليه الروم فأرسل أبوعبيدة يستمد أبا بكر فأمده بخالد وجعله أميراً على عامة الجيش فكانت واقعة اليرموك التي انتصر العرب فيها انتصاراً باهراً فكان ذلك سبب انخذال الروم ووهن قلوبهم . ثم توفي أبو بكر فاتم عمر الفتوح بعده

وأبو بكر أول من جمع القرآن وكان سبب ذلك قتل كثير من القراء فخشي أبو بكر على القرآن أن يضيع بموت القراء . وقد خالفه عمر ثم استصوب رأيه . والمشهور بين العامة أن عثمان هو أول من جمع القرآن والصحيح أنه أبو بكر وأن عثمان كتب نسخا من المصحف وبعث بها الى الامصار لتكون اماما للقراء

هذا وقد بلغ أبو بكر منزلة الخلافة وجاءه الغنى والغنائم والاموال الطائلة فلم يأخذ منها لنفسه ولا لاهله سوى ما يقوم بأوده ويسد حاجته ، ولم يتغير بالخلافة واقبال الدنيا بل لم يزل ورعا متواضعا حتى مات ، فدل ذلك على انه كان

يبتغي فيما عمله للاسلام من الاعمال الكبيرة وفيما تحمله من المكروه والاذى وجه الله وحسن ثواب الآخرة ، وانه لم يكن يرمى الى حظ من حظوظ الدنيا . وكان بودنا أن نبسط القول في اخلاقه ومناقبه الا أن الوقت ضاق عن ذلك . ونختم هذه المحاضرة برثاء علي بن أبي طالب رضى الله عنه له ، فقد روى انه لما توفي أبو بكر ارتجت المدينة بالبكاء عليه كيوم قبض النبي (ص) فجاء عليٌّ مسترجعا وهو يقول : اليوم انقطعت خلافة النبوة . حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبو بكر وهو مسجى فقال : يرحمك الله يا أبا بكر ، كنت إلف رسول الله وانسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته . كنت أول القوم اسلاما ، وأخلصهم ايمانا ، وأشدهم يقينا ، وأخوفهم لله ، وأعظمهم غناء في دين الله ، وأحوطهم على رسول الله ، وأحدبهم على الاسلام وأيمنهم على أصحابه ، وأحسنهم صحبة ، وأكثرهم مناقب ، وأفضلهم سوابق ، وأشبههم برسول الله هديا وسمتا ورحمة وفضلا . واسيته حين بخلوا ، وقمت به عند المكاره حين عنه قعدوا ، وصحبته في الشدة أكرم صحبة ، وخلفته في دين الله وأمته أحسن الخلافة

وقد دامت خلافته سنتين وثلاثة أشهر واستخلف عمر بن الخطاب فكانت خلافة عمر حسنة من حسنات أبي بكر رضى الله عنهما

بقلم عبد الله القلقيلي

﴿ مدافن العلماء في حلب ﴾

يشكون في حلب من أن مجلسها البلدي أنشأ مستودعاً للبترول في مقبرة قديمة بسفح جبل الجوشن دفن فيها علماء من مشاهير القرنين الثالث والرابع للهجرة . وأن متعهد إنشاء ذلك البناء استعمل فيه الاحجار الاثرية وشواهد القبور